NLAB

اللاعب الصغير

حكاية عن كرة السلة والصداقة والتعلّم والمسؤولية

الطبعة العربية · 27 أكتوبر 2026

I

الرسمة

كانت الساعة الخامسة فجرًا، في صالة رياضية لا تستحق اسمًا.

كانت الساعة خلف طاولة التسجيل قد توقفت عند 2:42. وكانت إحدى السلال تميل قليلًا نحو الجدار. وكان المبنى كله تفوح منه رائحة الأرضية المطاطية وقهوةٍ كانت ساخنة قبل ساعات.

قضيت معظم الليل مستيقظة، أعيد كتابة ملاحظات مباراتنا الأولى. كنا قد خسرنا بفارق ثلاث وعشرين نقطة. كانت ملاحظاتي تلوم توزيعنا في الملعب، وقراراتنا، وجهدنا، بهذا الترتيب. كل نسخة كانت أكثر تفصيلًا من سابقتها. ولم تفسّر أيٌّ منها لماذا توقفت مارا عن النظر إليّ قبل نهاية الشوط الأول.

جاء الصوت من مكان قريب جدًا من مرفقي، فأجفلت للحظة.

«هل تستطيعين أن ترسمي لي لاعبًا يتعلّم؟»

رفعت بصري.

كان صبيّ يقف عند حافة طاولة التسجيل. ربما كان في الثانية عشرة. لم يكن يحمل رقمًا من البطولة ولا ألوان نادٍ. كانت حقيبة صغيرة بالية مستندة عند قدميه، وفي أحد سحّاباتها شريط أخضر معقود. كان ساكنًا تمامًا.



انتظر الصبي.

«لاعب كرة سلة؟»

«إن كان ذلك يساعد.»

قلبت إحدى أوراق المباراة ورسمت لاعبًا يحمل كرة. كان الشكل واقفًا منتصبًا، متوازنًا، مستعدًا.

تأمّله الصبي.

«هذا لاعب ينتظر.»

نظرت مرة أخرى. كان محقًا. كان اللاعب ينتظر صفارة، أو تعليمات، أو إذنًا بالبدء.

حاولت مرة ثانية. ثنيت الركبتين، ووضعت الكرة بين اليدين، ورسمت العينين تنظران إلى سلة متخيَّلة.

«هذا لاعب يعرف ما عليه أن يفعل»، قال الصبي.

«أليس هذا هو الغرض من التعلّم؟»

«بعد ذلك، ربما.»

حاولت مرة ثالثة. كان هذا اللاعب يطبطب الكرة بقوة، رأسه منخفض وفكّه مشدود، كأن الكرة قد تفلت منه في أي لحظة.

هزّ الصبي رأسه. «لا يبدو أنه يحبّها.»

«هل يجب أن تحبّ شيئًا كي تتعلّمه؟»

وجدت أصابعه الشريط الأخضر على حقيبته. استغرق وقتًا طويلًا قبل أن يجيب.

«لا أعرف. هذا من الأشياء التي جئت لأعرفها.»

وضعت القلم. «إذن ارسمه أنت.»

«لا أستطيع. لهذا طلبت منكِ.»

هناك أطفال يخجلون حين يفقد الكبير صبره. وهناك آخرون يخافون. أما هذا الصبي فقد انتظر ببساطة حتى ينتهي نفاد صبري.

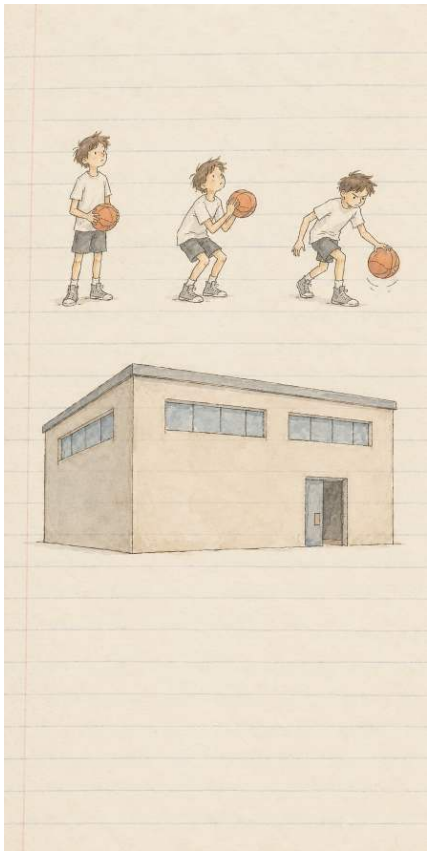
جرّبت قدمًا تصل متأخرة نصف ثانية، ويدًا تمتدّ نحو تمريرة غير مألوفة. على الورق بدا ذلك ارتباكًا. وحين كنت أصحّحه، كان الإحساس بالتعلّم يختفي.

في النهاية رسمت أربعة جدران، وسقفًا، ونافذتين عاليتين، وبابًا مواربًا.

«ها هو»، قلت. «اللاعب الذي يتعلّم في الداخل.»

مال الصبي أقرب. وانخفض كتفاه قليلًا.

«نعم»، قال. «في الداخل مكان يكفي للتعلّم.»



في الداخل كان هناك مكان للتعلّم.

جلس على الأرض بجانب طاولة التسجيل.

«ألا يُفترض أن تكون مع فريقك؟» سألته.

«وأين فريقكِ؟»

في الطرف الآخر من المدينة، كانت لاعباتنا نائمات في فندق رخيص، واثقات بأنني سأعرف ما ينبغي فعله حين يستيقظن. قلبت ملاحظات المباراة على وجهها.

«هل اسمك مكتوب في قائمة ما؟» سألت. «فريق، رقم؟»

«لا.»

قالها كما يقول أطفال آخرون أسماءهم.

سحبت الكرسي المجاور لكرسيّي. رفع حقيبته أولًا، بحذر، حتى لا يخدش إبزيمها الأرض، ثم جلس بجانبي.

كانت الساعة المعطّلة لا تزال تشير إلى 2:42.

هكذا تعرّفت إلى الصبي الذي بلا رقم.

II

السلال الثلاث

كان الصبي لا يزال هناك حين وصلت عاملات النظافة.

كنّ يتحرّكن حوله بالممسحات وصناديق القمامة ذات العجلات. كان يرفع قدميه حين يحتجن إلى الأرض تحتهما، ويعيدهما حين يمررن. سألته إحداهن لمن هو. قال: «لا أحد، اليوم»، وبدا أنها وجدت ذلك جوابًا معقولًا في بطولة.

«فلماذا أنت هنا إذن؟» سألته حين ابتعدت.

«أردت أن أرى كيف يتعلّم اللاعبون الحقيقيون.»

«هل تريد أن تصبح أفضل؟»

«ظننت أن ذلك قد يساعد.»

نظر نحو الملاعب. كانت أضواء معظمها لا تزال مطفأة.

«هل لديكِ ملعب خاص بكِ؟» سأل.

فكّرت في الملاعب التي استعرتها لبعض الوقت، واستأجرتها، وحاولت استئجارها، وطُلب مني مغادرتها. «لا ملعب لي.»

«أنا لديّ.»

شيئًا فشيئًا، تكوّن ملعبه من الأشياء التي كان يقولها. كان في الهواء الطلق، خلف صفّ من المرائب، من الإسمنت، بسياج على أحد جانبيه، وعمود إنارة يضيء متأخرًا في الشتاء. لم يكن كبيرًا ولا صغيرًا. كان شقٌّ يعبر الخطوط. وكان ماء المطر يتجمّع في الزاوية اليسرى.



كان يعرف كل شقّ.

في وسطه كان يقف عمود معدني واحد. تتفرّع منه ثلاثة أذرع، يحمل كلٌّ منها لوحة وحلقة، وكلٌّ منها يتّجه نحو حافة مختلفة من الملعب.

«من يبني ملعبًا كهذا؟»

«شخص لم يكن يملك ثمن أكثر من عمود واحد.»

من أي سلة، كان المكان نصف ملعب. لكن لكي تهاجم سلة أخرى، لم يكن بوسعك أن تسلك الطريق القصير. كان عليك أن تبدأ تحت سلة، وأن تدور حول العمود من الطريق الطويل، مارًّا بالسلة الثالثة في المنتصف، ثم تخرج نحو السلة البعيدة. عندها يصبح نصف الملعب ملعبًا كاملًا.

كانت اللوحة الأولى متآكلة من الطقس لكنها مستقيمة. ولم تكن على حلقتها المعدنية العارية شبكة على الإطلاق.

«هذه أستعملها للالتقاط»، قال. «أرمي الكرة على اللوحة من كل زاوية. ومن دون شبكة أستطيع أن أرميها على اللوحة من تحت الحلقة أيضًا. المهم هو الالتقاط فقط.»

كانت اللوحة الثانية مائلة، وكانت حلقتها مسحوبة إلى الأسفل من جهة. وكانت شبكة قديمة تتدلّى على نحو غير متساوٍ من الحلقة الملتوية.

«تلك لا تعيد إليك الكرة أبدًا كما تتوقّع. هناك نلعب أنا والسلة، واحدًا لواحد. من يصل إلى عشرة أولًا.» كاد يضحك. «في معظم الأحيان تفوز هي.»

«لماذا لا تصلح الحلقة؟»

«هي التي أتعلّم عليها أكثر.»

أما السلة الثالثة فكانت مصونة كما يجب: اللوحة مستقيمة، والحلقة مستديرة ومستوية، وكل عروة في شبكتها سليمة.

«هذه أبقيها كاملة حتى لا أنسى كيف يكون الشعور بالكمال.»



من الطريق الطويل يصبح ملعبًا كاملًا.

وجدت أصابعه الشريط الأخضر على حقيبته.

«هل يستعملها أحد غيرك؟» سألت.

«شخص أصغر. في العادة تصل قبلي.»

بقيت أصابعه على الشريط. انتظرت المزيد، لكنه بدأ يحدّثني عن الشقّ في الملعب.

«من علّمك كل هذا؟»

«السلال.»

«السلال لا تستطيع أن تعلّم.»

«فلماذا تضعين لاعبيكِ بقربها دائمًا؟»

أخرجت دفتري. كان يراقب القلم.

«هل ستكتبين ما قلته؟»

«ربما.»

«وهل ستجرّبينه؟»

نظرت شاردة الذهن إلى الملعب من وراء الدفتر.

أخبرني أنه يدور حول ملعبه كل صباح قبل أن يتمرّن. يبحث عن الحجارة المفكوكة، والشقوق الجديدة، والأعشاب التي تنبت بين الخطوط.

«إن اقتلعت العشبة وهي صغيرة، خرج جذرها معها»، قال. «وإن انتظرت، انكسرت ونبتت من جديد. وبعد مدة تظن أن مكانها هناك.»

«وهل يحدث أن تتخطّى جولة الصباح؟»

«أحيانًا.»

أراحني هذا الجواب. كنت قد بدأت أتساءل إن كان ينسى أي شيء أصلًا.

«وماذا يحدث إن تخطّيت يومًا؟»

«يبقى الملعب هناك في اليوم التالي.»

«الملعب ينتظرك دائمًا»، قال. «وهذا أحد أسباب أن يكون لك ملعب.»

دفعت إحدى العاملات ممسحة عريضة بيننا، فمسحت آثار أقدامنا عن الأرضية الملمّعة.

III

أين أم متى

في السادسة بدأت الفرق الأولى تصل.

انفتحت الأبواب. ارتطمت الحقائب بالأرض. فرّت الكرات من العربات ونودي عليها لتعود. وكان المدربون يعبرون الصالة حاملين القهوة واليقين.

راقب الصبي فتاة تتدرّب مع أبيها على القطع نحو السلة. كانت تركض من الجناح إلى السلة. ارتطمت التمريرة بالجدار خلفها.

«مرة أخرى»، قال الأب.

ركضت أسرع. أصابت التمريرة الثانية كتفها.

«أنتِ في المكان الخطأ.»

نظر الصبي إليّ. «هل هي كذلك؟»

«يُفترض أن تلتقيها التمريرة عند الحلقة.»

«أعرف. لكن هل المشكلة في المكان الذي تصلها فيه، أم في متى؟»

«ماذا؟»

«أين تذهب هي. ومتى تنطلق الكرة.»

كانت الفتاة تصل إلى المكان الصحيح، لكن الكرة كانت تصل بعدها. صحّح لها أبوها مسارها. فركضت المسار نفسه بعناية أكبر. وتأخرت التمريرة مرة أخرى.

«متى»، قلت.

أومأ الصبي.

مشيت نحوهما قبل أن أقرّر ذلك. «هل يمكنني أن أجرّب شيئًا؟»

نظر الأب إلى قميصي، ثم إلى الكرة في يديه. «تفضّلي.»

طلبت من الفتاة أن تقوم بالقطع نفسه. وهذه المرة قلت لأبيها أن يطلق الكرة لحظة عبورها خط الثلاث نقاط. فالتقت التمريرة بيديها تحت السلة.

لم يحتفل وجهها بالنجاح. بل تعرّف عليه.

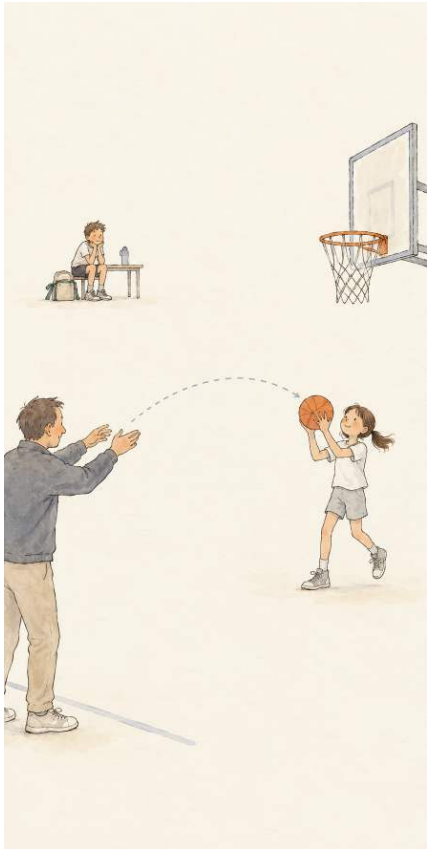
قال الأب: «هذا ما أقوله لها.»

كانت الفتاة تمسك الكرة. «كنت تقول لي أين أركض.»

فتح فمه، ثم نظر إلى الخط الذي عبرته.

«هل يمكننا أن نعيدها مرة أخرى؟» سألني.

في القطع التالي أطلق الكرة أبكر. فالتقطتها تحت السلة وأعادتها إليه.



هذه المرة وجدت التمريرة يديها.

عدت إلى طاولة التسجيل.

«لم يكن يقول لها ذلك»، قال الصبي.

«لا.»

«ولماذا ظنّ أنه كان يقوله؟»

«لأن الكبار يتذكّرون غالبًا التعليمات التي كانوا ينوون إعطاءها، لا التي أعطوها فعلًا.»

«وهل يفعل المدربون ذلك؟»

«المدربون خصوصًا.»

خلفنا، سأل الأب: «هل كانت هذه أفضل؟» وهذه المرة انتظر جوابها.

بعد ذلك صار الصبي يتأمّلني بانتباه أكبر.

«في مباراتنا أمس»، قلت، «ظللنا نركّز على أين. ربما كان السؤال الحقيقي متى.»

«ربما.»

«لا تبدو مقتنعًا.»

«لم أشاهد المباراة.»

كانت تلك أول مرة في ذلك الصباح يرفض فيها أحد أن يكون له رأي فيها.

قلبت ملاحظاتي على وجهها من جديد. وبجانب كلمة التوزيع كتبت: التوقيت.

كانت تلك أول ملاحظة صادقة كتبتها طوال الليل.

IV

غرفة الكؤوس

وجدنا مدير البطولة في السادسة والنصف.

كان يضع سماعة رأس بميكروفون، مع أن أحدًا لم يكن يتكلّم فيها. نظر إلى الصبي، ثم إلى لوح أوراقه.

«الاسم؟ الفريق؟ الرقم؟»

لم يكن لدى الصبي أيٌّ من الثلاثة.

«لا يجوز للأطفال الجلوس بجانب طاولة التسجيل من دون اعتماد»، قال المدير.

«فأين يمكنه الجلوس؟» سألت.

أشار المدير نحو ممرّ. «في أي مكان إلا هنا.»

فمشينا.

انتهى الممرّ إلى غرفة جدرانها من زجاج، تُعرض خلفها كؤوس البطولات السابقة. كانت الكؤوس تملأ الرفوف. وكانت الصور تغطّي ما تبقّى من المكان. وفي كل صورة، كان مدرب فائز يقف في المنتصف.

في الداخل، كان رجل يرتّب الميداليات في صفوف مستقيمة.

«جئتم باكرًا»، قال. «جيد. الفائزون يأتون باكرًا.»

عرفني وسألني عن هزيمتنا. وقبل أن أتمكّن من الإجابة، قدّم هو التفسير.

«لم يردن الفوز بما يكفي.»

نظر الصبي إلى الميداليات. «وكم هو ما يكفي؟»

ابتسم الرجل. «أكثر من الفريق الآخر.»

«وكيف تُرى الرغبة؟»

«تُرى في الفوز.»

«فكيف تعرفها إذن قبل المباراة؟»

توقّف الرجل عن تسوية الميداليات.

حاولت أن أنقذه. «يقصد أن على اللاعبين أن يقاتلوا.»

«أعرف ما معنى أن تقاتل»، قال الصبي. «ما لا أعرفه هو كيف تثبت الخسارة أن أحدًا أراد أقل.»

التقط الرجل ميدالية ذهبية ومدّها نحوه.

«هذه تثبت ذلك.»

«وماذا تثبت الفضية؟»

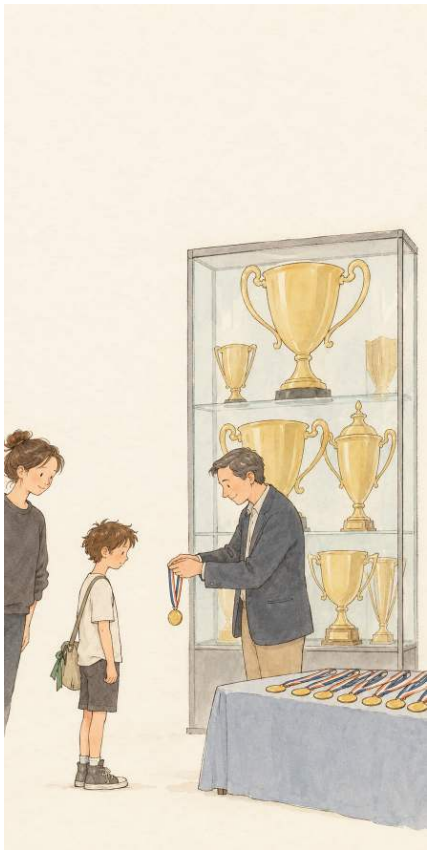
«أن أحدًا جاء ثانيًا.»

«وهل أرادوا الفضية؟»

«لا أحد يريد الفضية.»

«إذن لا يمكن أن تكون الرغبة هي ما يحسم.»

صارت الغرفة هادئة جدًا، بالنسبة إلى مكان يحوي كل هذا القدر من الانتصار.



لم يمدّ يده إلى الميدالية.

التفت الرجل إليّ. «هل هو معكِ؟»

«لا»، قلت.

جاء الجواب أسرع مما ينبغي. نظر الصبي إليّ، ثم إلى الميدالية.

عاد الرجل إلى صفوفه. «جيد. أسئلة كهذه معدية.»

غادرنا غرفة الكؤوس.

في الممرّ قال الصبي: «هل تريدين الفوز اليوم؟»

«كثيرًا.»

«إذن كان محقًّا قليلًا؟»

«قليلًا.»

«في أي جزء؟»

فكّرت في الأمر أطول مما توقّعت. «الرغبة مهمّة. لكن لا يمكنك أن تقيسها بميدالية.»

أومأ. ثم قال: «كان بإمكانكِ أن تقولي إنني معكِ.»

«بالكاد أعرفك.»

«هذا صحيح.»

V

غرفة الفيديو

كان الباب التالي مفتوحًا.

في الداخل، كان ستة مدربين يشاهدون مباريات الأمس على ست شاشات. وكان كلٌّ منهم يضع سماعتين. وكان اللاعبون على الشاشات مغطّين بالدوائر والأسهم والزوايا والعلامات الملوّنة.

لوّح لي أحد المدربين لأدخل. «اقتطعنا مقاطع من مباراتكنّ.»

أراني هجمة من الربع الثاني. استلمت صانعة الألعاب عندنا الكرة على الجناح، وتردّدت، ثم أعادتها إلى الخلف. جمّد المدرب الصورة.

«قرار سيّئ.»

وضع على اللحظة علامة حمراء.

«ماذا كان عليها أن تفعل؟» سأل الصبي.

«أن تهاجم الثغرة.»

«وهل كانت الثغرة مفتوحة؟»

أعاد المدرب المقطع ثلاث ثوانٍ إلى الوراء. «هناك.»

«كانت مفتوحة قبل أن تلتقط الكرة.»

«بالضبط. كانت بطيئة جدًا.»

«وهل كانت تستطيع أن تراها؟»

كبّر المدرب الصورة الملتقطة من الأعلى. من السقف، كان كل شيء مرئيًا.

«أي أحد يستطيع أن يراها.»

أشار الصبي إلى المدافِعة التي كانت بين صانعة ألعابنا والثغرة.

«نحن نرى من فوقها»، قال. «وهل كانت لاعبتكِ ترى؟»

«كان ينبغي أن ترى.»

«وهل أراها أحد أين وكيف تنظر؟»

لم يجب المدرب.

أبقى الصبي إصبعه على الشاشة، على المساحة التي كانت المدافِعة تحجبها. «إذن ربما ليست حتى خطأً»، قال ببطء. «ربما لا تعرف بعدُ كيف تبحث عن الثغرات. أو تعرف، لكن من الزاوية التي كانت واقفة فيها، لم تكن هذه الثغرة تُرى.»

مرّر ظفر إبهامه على الشريط الأخضر. «أنا أيضًا قلت لأحدٍ إن عليها أن ترى أشياء لم تكن تستطيع أن تراها بعدُ.»

لم يقل المدرب شيئًا. غيّر العلامة من الأحمر إلى الأصفر. كان تغييرًا صغيرًا، لكنني لاحظته.



هل كانت تستطيع أن تراها؟

على شاشة أخرى، كانت الأرقام تُظهر كل تمريرة، وكل رمية، وكل ركضة، وكل خطأ من اليوم السابق: كل خطوة خطاها أيّ أحد. كانت الأرقام جميلة. كانت تجعل المباريات تبدو كأنها عرفت منذ البداية ما تعنيه.

«أي رقم يساعدها اليوم؟» سأل الصبي.

«كلها»، قال مدرب ثانٍ.

«لا تستطيع أن تحملها كلها إلى الملعب.»

«لهذا لديها نحن.»

نظرت إلى الصورة المجمّدة لصانعة ألعابي. كنت قد طلبت منها بين الشوطين إحدى عشرة تصحيحًا. كنت أستطيع أن أعدّدها عن ظهر قلب. ولم أكن أتذكّر إن كانت هي قد قالت شيئًا.

«هل أخبرتكِ بما رأت؟» سألني الصبي.

«لا.»

«وهل سألتِها؟»

«لا.»

لم يقل شيئًا آخر. نهض وانتظر عند الباب.

قبل أن أغادر، طلبت المقطع. فأرسله المدرب إلى هاتفي، بلا أي علامات.

شاهدته في الممرّ. ومن دون الأسهم، اضطررت إلى مشاهدته ثلاث مرات لأجد الثغرة.

VI

اللاعب الذي ترك اللعب

في طريق العودة من غرفة الفيديو، مررنا بالملعب الخامس.

كانت مباراة في دقيقتها الأخيرة. وعلى طاولة التسجيل جلس شاب طويل في نحو السابعة عشرة، يعلّق حول عنقه شريط متطوّع. كان يدير الساعة من دون أن يرفع بصره. وبجانب ورقة المباراة كان دفتر سميك بغلاف ليّن مثنيّ الأطراف.

توقّف الصبي.

«إنه لا يشاهد المباراة»، قال.

«إنه يعمل.»

«ولا يشاهد ذلك أيضًا.»

دوّت صافرة النهاية. تصافح الفريقان، وبدأ الفريقان التاليان الإحماء. بقي المتطوّع في مكانه. وجلسنا عند طرف طاولته.

«هل تلعب؟» سأله الصبي.

«كنت ألعب.»

«ولماذا توقّفت؟»

«المدرب لم يكن يثق بي.»

«ولماذا لا؟»

«لأنني لم أكن أتحسّن.»

«ولماذا لم تكن تتحسّن؟»

«لأنه لم يكن يُشركني في اللعب.»

اكتملت الدائرة. كنت قد سمعت صيغًا منها مرات كثيرة، في الغالب من الجهة الآمنة لمكتب.

نظر الصبي إلى الدفتر. «ماذا يوجد فيه؟»

أدار اللاعب الأكبر الدفتر نحونا. صفحة بعد صفحة، بخطّ صغير متأنٍّ: تواريخ، وتحت كل تاريخ جمل. المرفق إلى الداخل. الكرة أعلى. لا تنظر إلى الدكّة. انتبه للجهة الضعيفة. صوّب بثقة. على مهلك. أسرع. بعض السطور كانت مشطوبة. وبعضها مكتوب مرتين.

«كل ما قاله لي مدربيّ»، قال. «أربع سنوات. كتبت كل شيء كي لا أنسى.»

«وهل نسيت؟»

«لا. وهذه كانت المشكلة.» أغلق الدفتر. «في النهاية، كلما التقطت الكرة، كان كل ذلك في رأسي في وقت واحد. لا يمكنك أن تلعب وفي رأسك أربعون صفحة.»

«وهل كانوا مخطئين؟»

«في معظم الأحيان كانوا على حق.»

«فما الذي كان خطأً إذن؟»

فكّر قليلًا. «لم يقل لي أحد قط أيّها يهمّ ومتى. وكلما جرّبت شيئًا وحدي، ظهرت صفحة جديدة.»

التفت الصبي إليّ. «هل جعلتِ أحدًا يترك اللعب يومًا؟»

كان دفتر اللاعب الأكبر بيننا. ظللت أنظر إلى غلافه المثنيّ.

«ربما أكثر من مرة»، قلت. «لكنني متأكّدة من واحد. صبيّ لم يكن يستطيع أن يُنهي التصويبة السلمية باليد اليسرى. كنت أراه جيدًا. طلبت منه أن يأتي أبكر أيام السبت، جزئيًا لأعلّمه، وجزئيًا لأرى إن كان يريد ذلك بما يكفي.»

«وهل جاء؟» سأل اللاعب الأكبر.

«مرتين. وفي السبت الثالث لم يأتِ. ولم يعد إلى التمارين أيضًا.»

«وماذا قلتِ لنفسكِ؟»

«إنه لم يكن مصمّمًا بما يكفي.»

لم يقل أحد شيئًا لبعض الوقت.

قرّب الصبي كرسيّه من كرسيّي. أصدرت أرجله صوتًا خافتًا كالشكوى على الأرض.

عاد الصبي يلتفت إلى اللاعب الأكبر. «وماذا تتذكّر أيضًا؟»

حدّق اللاعب الأكبر في الأرض.

أخيرًا قال: «جاءتني مرة تمريرة من الزاوية. التقطتها من دون أن أنظر. الذي رماها كان يعرف أين سأكون. لم يحتج أحد حتى إلى أن يقول شيئًا.»

«وهل ما زلت تستطيع التقاط تمريرة كهذه؟»

«لا أعرف.»

كانت كرة من الإحماء قد تدحرجت تحت الطاولة. التقطها الصبي. ومن دون إنذار، مرّرها، لا بقوة، لكن بشكل سيّئ. التقطها اللاعب الأكبر على صدره.

«كانت تلك تمريرة فظيعة»، قال.

«لكنك التقطتها.»

نظر اللاعب الأكبر إلى الكرة بين يديه.

كانت فتاة من الإحماء تلوّح لاستعادتها. لم يدحرجها إليها. نهض ومرّرها إليها، مستقيمة وسريعة، فالتقطتها من دون أن تكسر خطوتها.

جلس مجدّدًا. وبعد لحظة وضع الدفتر في حقيبته تحت الطاولة، وأغلق السحّاب.



تذكّرت يداه.

غادرنا قبل أن تبدأ المباراة.

في الممرّ قلت: «كان عليك أن تنبّهه قبل التمريرة.»

«عندها لم أكن لأعرف إن كانت يداه تتذكّران.»

«كان من الممكن أن تُخيفه.»

عبس الصبي. كانت تلك أول ملاحظة مني لا يقبلها بسهولة.

«لقد نجح الأمر»، قال.

«هذه المرة. ولم تكن تعرف ذلك قبل أن ترمي.»

بعد ذلك مشى صامتًا، ينظر إلى يديه. وعند الباب التالي انتظر حتى ألحق به.

VII

أربعة عشر تمرينًا

في الطرف البعيد من المبنى، كانت صفارة تدوّي كل أربع وعشرين ثانية.

تبعنا الصوت إلى الملعب الثاني عشر. كان سبعة أطفال ينتقلون من تمرين إلى آخر، بينما يعيد مدرب ترتيب الأقماع، ويجلب الكرات، وينظر إلى ساعته، ويصفّر من جديد.

عددنا أربعة عشر تمرينًا، وخمسًا وثلاثين صفارة، ولا سؤال واحدًا، ولا ماء.

حين انتهت الحصة، جلس المدرب مستندًا إلى الجدار. بدا متعبًا إلى حدّ أنه لا يقوى على نزع الصفارة من فمه.

«ما المشكلة التي كان التمرين السابع يحلّها؟» سأل الصبي.

أغمض المدرب عينيه. «أيّها كان السابع؟»

«صفّان. التقاط، ارتكاز، تمرير.»

«هذا نؤدّيه دائمًا في السابعة والربع.»

«هذا متى. ولكن لأيّ غرض هو؟»

فتح المدرب عينيه.

توقّعت أن يدافع عن نفسه. لكنه قال بدلًا من ذلك: «كنت أعرف.»

حدّثنا عن زمن كان فيه لكل تمرين سبب. تمرين يعلّم اللاعبين أن يرفعوا رؤوسهم وينظروا قبل أن يفكّروا في أيديهم. وآخر يعلّم الخطوة الثانية بعد التوقّف. وآخر يضع اللاعب أمام خيار بين التمرير والاختراق.

«ثم وضع النادي منهجًا»، قال. «ثم تقييمات. ثم فئات عمرية أكثر. صارت الشروح أقصر. ولم يبقَ أحد يُسأل حين يتوقّف شيء عن النجاح.»

«أن تفعل الشيء نفسه كل يوم»، قال الصبي. «هل هذا جيد؟»

«كان كذلك. هكذا تعلّموه.»

«والآن؟»

«والآن صار هو الطريقة التي توقّفت بها عن التفكير فيه.»

«هل يمكن أن نؤدّي التمرين السابع؟» سأل الصبي.

نظر المدرب نحو المخرج. «لديّ مجموعة أخرى بعد عشر دقائق.»

«إذن لدينا وقت لبعض التكرارات.»

وقفا متقابلين. التقاط، ارتكاز، تمرير. ببطء.

في التكرار الخامس قال المدرب: «أبقِ قدم الارتكاز على الأرض.»

وفي السادس: «انظر إلى أين ستمرّر قبل أن تلتقط.»

وفي السابع توقّف.

«هذا ما كان من أجله.»

وفي الثامن أزال القمع الذي كان يدلّ الصبي إلى أيّ جهة يدور.

«اختر أنت الآن»، قال.

التقط الصبي الكرة، وقرأ موقع المدرب، ودار مبتعدًا عنه.

«أفضل»، قال المدرب.



في الثامن أزال القمع.

حين دخلت المجموعة التالية، كانت الأقماع لا تزال كومة. أجلس المدرب الأطفال وسألهم ماذا يتوقّعون من هذه الحصة.

لم يكن أحد منهم يعرف. ومع ذلك انتظر جوابًا.

حين بلغنا الباب، نادى خلفي: «تمرينكِ الأول يوم الاثنين. لأيّ غرض هو؟»

لم يترك لي وقتًا حتى لأفتح فمي.

«على أيّ حال، أخبريني حين تأتين إلى البطولة القادمة»، قال.

«أحببته»، قال الصبي ونحن نغادر.

«لماذا؟»

«لأنه أراد أن يتذكّر.»

«بدا متعبًا»، قلت.

التفت الصبي ونظر عبر الزجاج.

«هل كنت قاسيًا عليه؟»

«لا أظن. أنت فقط ساعدته على أن يتذكّر.»

خلف الزجاج، كان المدرب يصغي إلى فتاة رفعت يدها للتوّ.

VIII

الأحذية نفسها

بحلول الثامنة كان الممرّ الرئيسي مكتظًا.

كان اللاعبون ينتقلون من ملعب إلى ملعب حاملين حقائب متطابقة. مرّ بنا أكثر من خمسين صبيًّا في خمس دقائق. كثيرون منهم ينتعلون الأحذية نفسها. وكثيرون على وجوههم التعبير الجادّ نفسه الذي يتّخذه الكبار حين يريدون أن يبدوا مشغولين.

كانت امرأة تضع سماعة رأس توجّههم.

«الملعب الثالث إلى الملعب السابع. الملعب الثامن إلى الملعب الرابع. الفريق الأزرق إلى الطابق العلوي. الفريق الأحمر إلى الجهة الأخرى من الشارع.»

«إلى أين يذهبون؟» سأل الصبي.

«إلى مباراتهم التالية.»

«وبعدها؟»

«إلى التالية.»

«ومتى يتوقّفون؟»

«حين يخسرون.»

بالقرب منها وقف كشّاف مواهب تحت لافتة كُتب عليها: أبعد، أسرع. كان يعرض تقييمات، وتصنيفات، وأماكن في فرق تسافر إلى البطولات، وتدريبات خاصة، ومعسكرات نخبة، وبرنامجًا يعِد بتخطّي سنة من النموّ.

«أي سنة؟» سأل الصبي.

«السنة البطيئة»، قال الكشّاف.

«وماذا يحدث في السنة البطيئة؟»

«الأساسيات في الغالب.»

«فلماذا أريد أن أتخطّاها؟»

ناوله الكشّاف كتيّبًا. على غلافه، كان لاعب يقفز عبر الدخان نحو سلة لا يمكن أن تتّسع لها تلك الصورة.

«وإلى أين أصل؟» سأل الصبي.

«إلى المستوى التالي.»

«وماذا هناك؟»

«المستوى الذي يليه.»

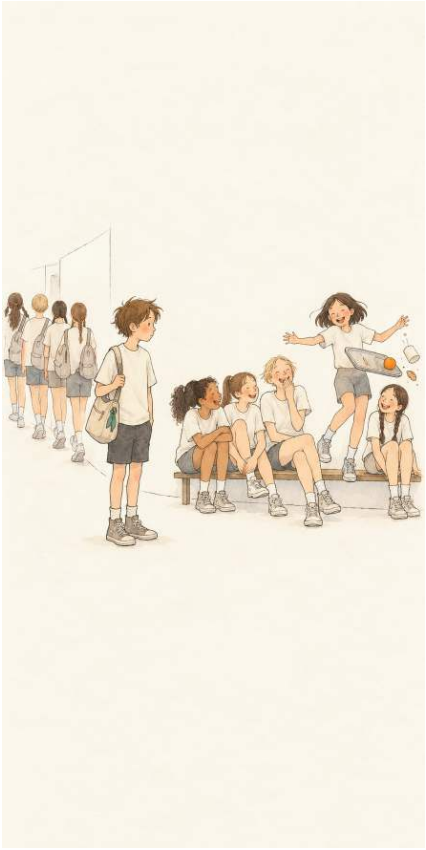
أعاد الصبي الكتيّب.

«أظن أنني سأمشي.»

كان الكشّاف قد التفت إلى عائلة أخرى.

واصلنا السير وسط الزحام. قرب الأبواب، كان فريق جالسًا على مقعد يضحك من شيء حدث على الفطور. وقفت إحدى اللاعبات في الوسط تقلّد الطريقة التي أوقعت بها أخرى صينيّة. كان ضحكهنّ يصنع حولهنّ فقاعة صغيرة مرحة لا تُرى.

أطال الصبي النظر.



أطال الصبي النظر.

«نيا تضحك هكذا»، قال. «حين تُخطئ رمية أو تخسر الكرة، تعيد تمثيل الأمر كله من البداية.»

كانت تلك أول مرة يذكر فيها اسمها.

«مرة سقطت كرتها في البركة»، قال. «أعطتني حقيبتها لأمسكها، ومدّت يدها لتلتقط الكرة. انزلق حذاؤها من قدمها وسقط هو أيضًا. فصرت أنا أمسك حقيبتها وكرتها، وهي تصطاد حذاءها.»

كاد يبتسم. انفتحت يده كأنها لا تزال تمسك تلك الأشياء.

«يمكنك أن تنضمّ إليهنّ»، قلت، وأومأت نحو الفريق.

«لا أعرفهنّ.»

«هكذا يكون الأمر عادةً قبل أن تنضمّ إلى الناس.»

«لديهنّ ما يكفي من اللاعبات.»

«في الفرق عادةً مكان لواحد آخر.»

توقّف عن المشي وشدّ قبضته على حزام حقيبته. كان لديّ المزيد لأقوله، لكنني تركته.

«هل تجلس معي حتى يصلن؟» سألت.

أومأ.

وجدنا المقعد أمام غرفة ملابسي. ترك لي مكانًا من دون أن يرفع بصره.

IX

الدكّة

وصل فريقي في الثامنة والربع.

وجدننا على المقعد أمام غرفة ملابسنا. ناولتني تِس مفتاح غرفتي، الذي كنت قد تركته في باب الفندق. وطلبت مارا من الصبي أن يزيح حقيبته لتجلس.

جمعتهنّ حول الشاشة الفارغة في غرفة الفيديو.

«أمس أعطيتكنّ إجابات أكثر مما ينبغي»، قلت. «اليوم لديّ سؤالان فقط.»

عقدت تِس، قائدة فريقنا، ذراعيها. «أمس كانت لديكِ إحدى عشرة إجابة. والآن تريدين إجاباتنا؟»

«نعم.»

لم تفكّ ذراعيها.

شغّلت المقطع الخالي من العلامات لصانعة ألعابنا على الجناح.

«مارا، ماذا رأيتِ؟»

نظرت إليّ مارا لتعرف إن كان هذا اختبارًا.

«طويلتهنّ كانت متقدّمة إلى الأعلى. ظننت أن الثغرة ستُغلق.»

«وماذا كنتِ تحتاجين؟»

«التمريرة أبكر. أو أن تقطع ليف متأخرة. وصلنا معًا.»

أين ومتى.

مالت ليف إلى الأمام. «ظننت أنني تأخرت.»

«كنتِ مبكّرة»، قالت مارا.

شاهدنا من جديد. وكلما نظرنا من زوايا مختلفة، اتّخذت القرارات أشكالًا مختلفة.

طوال عشرين دقيقة، تكلّمت اللاعبات أكثر مني. كانت تفسيراتهنّ غير مرتّبة إطلاقًا. ناقضن أنفسهنّ مرات كثيرة، لكنهنّ وجدن في النهاية مشكلة فاتت صفحات ملاحظاتي الثلاث، وكانت أمام أعيننا طوال الوقت. وقرب النهاية قالت تِس: «طويلتهنّ تتقدّم دائمًا حين ننقل الكرة إلى الجهة الأخرى.» ثم بدت منزعجة لأنها قالت ذلك.

عندها لاحظت مارا الصبي.

«هل يتدرّب معنا؟»

نظرت إليه. وتذكّرت غرفة الكؤوس.

«إنه معي»، قلت.

خفض الصبي بصره.

«هل يستطيع أن يلعب؟» سألت مارا.

«أستطيع»، قال.

«جيد. نحن تسعة.»

في الملعب، لعبنا ثلاثة ضد ثلاثة على سلة واحدة. اقترحت مارا ألّا تُحتسب السلة إلا إذا لمس اللاعبون الثلاثة الكرة. ووافقت الأخريات على التجربة.

كان الصبي يتحرّك بلا كرة على نحو جميل. يتوقّف متوازنًا، ويرى المساحة مبكرًا، ويلتقط كل تمريرة صعبة.

لكنه كلما استلم الكرة، تجمّد.

كان يفحص كل خيار حتى يختفي.

«مرّرها!» صاحت مارا.

قام بالتمريرة الآمنة، عائدًا بها إلى حيث جاءت.

كانت الهجمة التالية مثلها. كان يستطيع أن يجد الثغرة. أما أن يترك الكرة لغيره فكان أصعب.

أوقفت اللعب.

«ماذا ترى؟» سألته.

«أشياء كثيرة.»

«اختر واحدًا.»

«وإن كان خطأً؟»

«عندها نصلحه معًا»، قالت مارا.

«لست متأكّدًا بعد.»

«رأيت ليف تنطلق»، قلت. «جرّب التمريرة حين تنطلق. ثم ننظر في ما حدث.»

في الهجمة التالية، التقط الكرة في الأعلى. قطعت ليف. مرّر، فإذا بمدافِعة ليف في خط التمرير أصلًا. أبعدت الكرة بطرف يدها.

«مرة أخرى»، قالت ليف.

في المرة الثانية، لم تنظر المدافِعة إلى ليف أصلًا. كانت متأكدة أن التمريرة آتية.

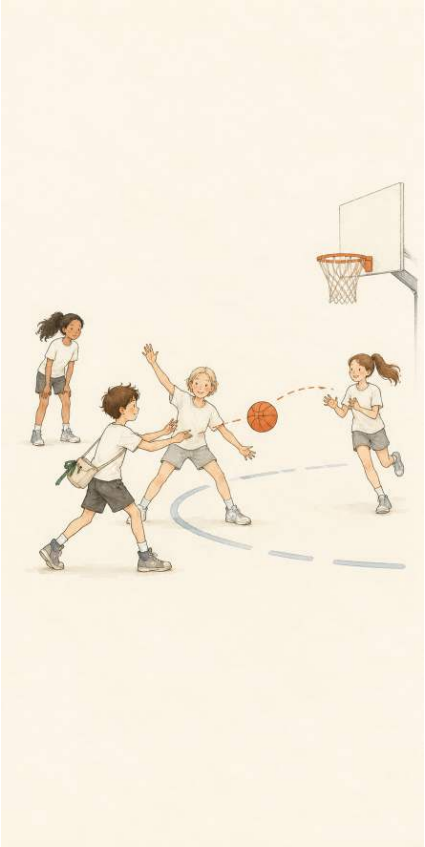
أوقفت مارا الكرة. «إنها لا تدافع عليك. إنها تدافع على تمريرتك. أنت لا تذهب إلى السلة أبدًا، فلا داعي لأن تقلق منك.»

نظر الصبي إلى السلة كأن أحدًا قرّبها.

أشارت ليف إلى القوس المرسوم تحت الحلقة. «إن استطعت أن تضع فيه عينين، يبتسم لك. هذا ضحوك. حاول أن تصل إليه. اجعلها تخرج إليك.»

في المرة التالية اخترق: خطوتين نحو ضحوك. تركت مدافِعة ليف ليفَ لتوقفه. فمرّر. وجدت الكرة ليف وهي تركض. سجّلت ليف التصويبة السلمية وأشارت إليه. والتقطت تِس الكرة تحت الشبكة وأخرجتها إلى ما وراء خط الثلاث نقاط.

لأول مرة، ابتسم الصبي من دون أن يحاول إخفاء ذلك.



اجعلها تخرج إليك.

في الدقائق الأخيرة ألغينا قاعدة أن يلمس الثلاثة الكرة. ظلت ليف تُريه يديها حين تنطلق. وظل هو يبحث عن اللحظة المناسبة للتمريرة. ومرة، حين لم يخرج إليه أحد، احتفظ بالكرة وسجّل بنفسه. لم يطلب منه أحد ذلك.

بتمريرتها التالية، وجدت تِس مارا في المساحة الحرّة. وفي الهجمة التي تلتها، طلبت تِس الكرة من جديد. فأعطتها مارا إياها.

حين توقّفنا، جلس الصبي بجانبي ليعيد ربط حذائه. أزحت قدمي من طريقه. أنهى العقدة وبقي جالسًا.

X

المباراة

بين الشوطين كنا متأخرات بإحدى عشرة نقطة.

دخلت النسخة القديمة مني غرفة الملابس أولًا. كانت تحمل ورقة الإحصاءات، وتعديلات، وتوزيعًا للرقابة، وخطابًا عن الإلحاح. وكانت مستعدّة لأن تملأ كل صمت قبل أن تتمكّن اللاعبات حتى من سماع أفكارهنّ.

تركتها تنتظر في الخارج.

«هل مشكلتنا في الوقت أم في المساحة؟» سألت.

أجابت مارا أولًا. «الوقت. نحن نرى، لكن الكرة تصل بعد أن تكون المساندة قد عادت.»

«ماذا نستطيع أن نغيّر؟»

تجادلت اللاعبات. أرادت هانا اختراقات أكثر: إن دخلنا المنطقة، فعلى المساندة أن تقرّر مبكرًا. وأرادت تِس ملء الزوايا، حتى تقطع المساندة مسافة أطول وتبقى لنا مساحة نستعملها. وأرادت إحداهنّ طبطبة أقل وقطعًا أكثر. وقالت ليف إننا نقطع لأن الخطة تقول ذلك، لا لأن المساحة موجودة.

«إذن توقّفن عن محاولة لعب الخطة»، قلت.

حدّقت مساعدتي فيّ. «أمضينا تمارينا الثلاثة الأخيرة عليها.»

«فماذا نلعب إذن؟»

«ما نراه»، قالت ليف. «ما يعطيننا إياه.»

«إذن ذهبت التمارين الثلاثة سدًى؟»

«لا»، قالت مارا. «بفضلها نعرف إلى ماذا ننظر.»

كان الصبي جالسًا في طرف الدكّة بقميص إحماء احتياطي. لم تكن قواعد البطولة تسمح له باللعب. كان يتابع كل هجمة كأنه فيها.

في الربع الثالث صرنا نخطئ أسرع. اخترقت مارا مباشرة نحو جدار من المساندة. وقطعت ليف مبكرًا جدًا. ومرّرت هانا إلى مساحة لم يخترها أحد بعد.

كدت أطلب وقتًا مستقطعًا.

ثم بدأن يتكيّفن.

صارت التمريرات تنطلق أبكر. وصار القطع ينتظر. وامتلأت الزوايا. ومع كل رمية، كانت الخمس يذهبن إلى المتابعة. وحين نستعيد الكرة، يركض الجميع، حتى هانا التي كانت تكره الركض. وصارت الرمية الضائعة، بعد المتابعة، تمريرةً إضافية ورميةً أفضل. وبدأت الدكّة تقول بصوت عالٍ ما تراه.

«الزاوية فارغة!»

«المساندة هناك!»

«إضافية!»

انتهت تمريرة هانا في الصف الثالث من المدرجات.

«لم أكن قد انطلقت بعد!» صاحت ليف.

أومأت هانا وركضت عائدة إلى الدفاع.

في منتصف الربع الرابع، وقفت مارا أمام لاعبة مخترقة وثبّتت قدميها. اصطدمت اللاعبة بها مباشرة. فاحتُسبت الصفارة على مارا.

كان الحكم في نحو السادسة عشرة. وكان خلف اللعبة.

استدارت مارا نحوه غاضبة. نهضت.

«بدا لي أنكِ كنتِ في مكانك»، قلت لها. «سنسأله في الاستراحة. تابعي اللعب.»

ظلت تحدّق في الحكم.

«سلة مائلة»، قال الصبي من طرف الدكّة.

نظرت مارا إليه من دون أن تفهم ما يقصده. أطلقت نفَسًا وركضت عائدة إلى الدفاع.

بعد هجمتين، اخترقت اللاعبة نفسها من جديد. وهذه المرة وصلت مارا قبلها بخطوة، مواجهةً وثابتة، بحيث يستطيع حتى حكم خلف اللعبة أن يراها. وهذه المرة احتسب خطأً هجوميًا.

في الهجمة التالية، وصلت أولًا إلى كرة سائبة. وحين تعثّرت الفتاة التي كانت تطاردها بجانبها، انحنت مارا وساعدتها على النهوض.

قبل النهاية بعشر ثوانٍ، كنا متأخرات بنقطة.

طلبت وقتًا مستقطعًا.

نظرت اللاعبات إليّ.

«ماذا ترين؟» سألت.

لم تُجب أيٌّ منهنّ فورًا. ثم مال الصبي إلى الأمام.

«حين ترفع مارا الكرة، إلى أين تنظر طويلتهنّ؟»

«إلى الكرة»، قالت ليف. «دائمًا إلى الكرة.»

أخذت ليف القلم من يدي ووضعت نقطتين داخل القوس الصغير تحت السلة. فصار وجهًا مبتسمًا. وابتسم له الصبي.

«ضحوك»، قالت ليف.

رسمت خمس دوائر صغيرة، متباعدة: اثنتان في الزاويتين، واثنتان على الجناحين، وواحدة في الأعلى. ثم سهمًا عبر الثغرة نحو ضحوك.

أشارت مارا إليه. «أستطيع أن أصل إلى هناك.»

«وإن جئن ليوقفنني؟» سألت مارا.

رسمت ليف خطًا عائدًا إلى الزاوية. «عندها أكون أنا هنا.»

انحنت الأخريات. وسّعت تِس إحدى الدوائر. ومسحت هانا خطًا يقطع طريق مارا. ووضعت ليف نفسها في الزاوية ونقرت على اللوح مرتين.



خطّتهنّ، على لوحنا.

«وإن أخطأنا الرمية؟» سألت مساعدتي.

«عندها نخطئ الرمية»، قالت مارا.

اخترقت مارا نحو ضحوك. وجاءت طويلتهنّ للمساندة لتوقفها. بقيت ليف واسعة وأظهرت يديها طالبةً التمريرة، فوصلتها الكرة قبل أن تتمكّن المدافِعة من العودة.

التقطت، وثبّتت قدميها، ورمت.

دارت الكرة على الحلقة وخرجت. مدّت تِس يدها إلى المتابعة. ودوّت الصافرة قبل أن تتمكّن من إعادتها.

خسرنا بنقطة.

لثوانٍ، لم تتحرّك أيّ منّا.

جلست ليف وأرخت رباط أحد حذاءيها. كانت يداها ترتجفان قليلًا. وجلست تِس بجانبها من دون أن تتكلّم.

ثم أشارت ليف إلى مارا. «كانت تلك التمريرة الصحيحة.»

«ومع ذلك كنت أريدها أن تدخل»، أضافت.

«وأنا كذلك»، قالت مارا.

نظر الصبي إلى ليف. «في المرة القادمة؟»

«في المرة القادمة»، قالت.

في صفّ المصافحة، أمسكت مدرّبة الفريق الآخر بيدي لحظة أطول من المعتاد. «غيّرتنّ شيئًا بين الشوطين»، قالت. «ما زلت لا أعرف إن كان قد جعلنا أسوأ أم جعلكنّ أفضل.»

كان الصبي ينتظر عند النفق.

«هل تظنّ أننا تعلّمنا شيئًا؟» سألته.

«ستعرفين إن بقي هناك غدًا.»

XI

العمل تحت الأرضية

بعد المباراة، أعاد الصبي القميص المستعار إلى مارا. وتدحرجت كرة تحت أدنى صفّ في المدرجات.

دخل الصبي وراءها. سمعناه ينادي من الظلام.

خلف المقاعد المطويّة كانت هناك مساحة خدمة ضيّقة مليئة بالغبار، والشريط اللاصق القديم، وأشياء ضاعت عبر مواسم كثيرة: جورب أحمر، وزجاجتا ماء، وصفارة، ونظارة طفل، وعشرات من كرات السلة التي صارت ليّنة.

ظهرت قيّمة الصالة ومعها منفاخ يدوي.

«بعد كل بطولة»، قالت، «أجمع ما ابتلعه المبنى.»

اختبرت كل كرة. بعضها يحتفظ بالهواء. وبعضها يسرّب عند الصمّام. وواحدة انشقّت على طول خياطتها.

«لماذا تصلحينها؟» سأل الصبي. «في الأعلى كرات جديدة.»

«في الأعلى يظنّون دائمًا أن هناك كرات جديدة. هنا في الأسفل نعرف كم عددها.»

ناولته المنفاخ.

عمل حتى صارت الكرة الأولى مستديرة تحت يديه. كان العمل بطيئًا. ولم يكن فيه شيء يشبه التحسّن أو التعلّم.

«من يراكِ وأنتِ تفعلين هذا؟» سأل.

«في العادة لا أحد.»

«فكيف يعرفون أنه مهمّ؟»

«لا يعرفون. غدًا يطبطبون الكرة فحسب.»

نفخ كرة أخرى.

بينما كان ينفخ، كنت أكدّس الكرات التي تحتفظ بالهواء. بدأ كتفاي يؤلمانني ألمًا لطيفًا. وفوقنا كانت المباريات مستمرة. الأحذية تصرّ. والصفارات تدوّي.



غدًا يطبطبون الكرة فحسب.

انحنت القيّمة والتقطت شيئًا من الغبار. شريطًا أخضر.

«لك؟»

تحسّس الصبي سحّاب حقيبته. كانت العقدة قد انحلّت وهو يزحف.

«إنه لنيا»، قال.

لم يعقده من جديد. أمسكه مبسوطًا على راحة يده.

اسمها نيا، قال لنا. عمرها ثماني سنوات، وتسكن قرب ملعبه. في المساء تتدرّب تحت السلة الكاملة، لأنها الوحيدة التي تستطيع أن تصل إليها. هو يلتقط لها الكرات المرتدّة. وهي تعدّ الرميات الناجحة.

«أحيانًا تصل قبلي، وتجلس على الكرة وتنتظرني. تقول إنها هكذا تحجزها.»



تقول إنها هكذا تحجزها.

وضع الشريط على ركبته.

«ربطته بالشبكة كي يعرف الجميع أيّ سلة هي سلتها. مرة طلبت مني أن أشاهد إحدى رمياتها. كنت أقتلع الأعشاب. انتظرت حتى وضعت الشوكة الصغيرة.»

«هل دخلت؟»

«لا. قالت إنني لم أكن أنظر كما يجب.»

ابتسم قليلًا، ثم عاد يمسك المنفاخ.

«ساعدتها في قدميها. ثم في يديها. أحيانًا كانت هي تطلب. وبعد مدة صرت لا أنتظر أن تطلب.»

«وماذا كانت تفعل؟»

«أحيانًا كانت تجرّب. وأحيانًا تمسك الكرة حتى أكفّ عن الكلام. ظننت أنها تصغي.»

كان يريدها أن تحبّ اللعبة. وكان قد بدأ يقرّر كيف ينبغي أن يبدو ذلك الحبّ.

ثم صار الأطفال الأكبر يأتون مساء الأحد. من السادسة كانوا يلعبون على السلّتين الأخريين حتى يُضاء عمود الإنارة.

«آخر مرة جئت فيها، كانت تلعب معهم أصلًا. كنت قد أحضرت لها كرتها الصغيرة. لوّحت لي، لكنها لم تأتِ.»

قلب الشريط.

«ناديتها. قالت إنني أستطيع أن ألعب أيضًا. قلت لها إنها ليست مستعدّة لهم. كانت تخسر الكرة كلما اقتربوا منها.»

ضغط المنفاخ بين ركبتيه.

«ظللت أقول لها أين تقف. قالت لي أن أتوقّف. ثم أخطأت رمية، فعدت أكلّمها عن قدميها.»

«وماذا قالت؟»

«إنني أحتفظ بالسلة الكاملة لنفسي. انتزعت هذا من الشبكة ووضعته في يدي. وقالت: "احتفظ بسلتك الكاملة."»

«لكنك كنت تحتفظ بها من أجلها.»

«نعم.»

فوقنا، أسقط أحدهم كرة. أصغينا إليها ترتدّ عدّة مرات.

«سألتها متى تريد أن نتدرّب. قالت إنها تستطيع أن تتدرّب وحدها.»

وضع المنفاخ جانبًا.

«وكانت كرتها لا تزال في يديّ.»

أخذت القيّمة الكرة المنفوخة وطبطبتها مرة واحدة. كان الصوت هنا في الأسفل أعلى.

«لذلك جئت إلى هنا»، قال. «لأرى كيف يتعلّم اللاعبون. والمدربون.»

أعادت القيّمة الكرة إليه وواصلت فحص الصمّامات.

«هل يمكنني أن آخذ هذه؟» سأل.

«نعم. أعِدها إن بدأ الصمّام يسرّب.»

أعاد الصبي إدخال الشريط في السحّاب، وعقده مرتين، وشدّ العقدة.

حملنا الكرات الجيدة إلى الأعلى. وفي المرة الأخيرة، أخذ واحدة من كومتي. صعدنا ببطء، ولم يقل أيّ منّا الكثير.

XII

التمريرة الراجعة

بحلول المساء كانت صالة البطولة قد فرغت.

كان فريقي قد عاد إلى الفندق. وكانت القيّمة تطفئ الملاعب صفًّا من الأضواء بعد صفّ، بدءًا من الطرف البعيد. وكان أحدهم قد أصلح خلال النهار الساعة خلف طاولة التسجيل. كانت تشير إلى الخامسة وعشر دقائق.

نظر الصبي إلى الساعة.

«هل ما زال هناك حافلة؟»

تفقّدت الجدول في هاتفي. كانت هناك واحدة أخرى.

«غدًا الأحد»، قال. «الكبار يأتون في السادسة.»

كنت قد فكّرت أننا ربما نبقى في الملعب الأول حتى تضطرّ القيّمة إلى الإغلاق.

«هل ستكون نيا هناك؟»

«في العادة تصل قبلي.»

علّق حزام حقيبته على كتفه. وكانت الكرة المصلَحة تحت ذراعه الأخرى.

وجدنا طريقنا إلى الخارج حين انطفأ آخر صفّ من الأضواء.

في الخارج، كانت حافلات الفرق تتحرّك على الطرف البعيد من موقف السيارات. فتح حقيبته. كان في داخلها كرة صغيرة وشوكة يدوية لاقتلاع الأعشاب من الشقوق. ووضع رسمتي الأولى — الصالة ذات الباب الموارب — بينهما.

«لم أكملها»، قلت.

«لهذا أريدها.»

ثم فكّ الشريط من السحّاب ولفّه حول إصبعين.

«هل ستعيد ربطه بالسلة الكاملة؟»

«سأعطيه لها. لتربطه حيث تريد أن تلعب.»

أشار إلى موقف الحافلات في الجهة الأخرى من الشارع. عبرنا معًا.

«لم أقل لها بعدُ إنني آسف»، قال.

جلسنا على المقعد تحت المظلّة. كانت الكرة مستندة إلى حذائه. وفي الزجاج، كان انعكاسانا يجلسان بجانبنا، أكثر عتمة قليلًا وأبعد قليلًا.

تأخرت الحافلة. ولم يشتكِ أيّ منّا.

جلسنا قليلًا بعد. وفي الجهة الأخرى من الطريق، أضاءت أنوار ملعب واحدًا بعد الآخر. مال إلى الأمام ليرى إن كان أحد هناك.



تأخرت الحافلة. ولم يشتكِ أيّ منّا.

«حين ترين ملعبًا صغيرًا مضاءً في الليل»، قال، «لن تعرفي إن كان ملعبي.»

«لا.»

سوّى الشريط بإبهامه.

«لا أعرف إن كانت ستنتظر.»

بقيت بجانبه. لم يكن على الطريق شيء بعد.

انعطفت الحافلة عند الزاوية.

أخذ الكرة. مددت يدي إلى حقيبته قبل أن أتذكّر أنها حقيبته. وتركني أحملها حتى الباب.

«هل ستعود؟» سألت.

«لا أعرف.»

كان الجواب صغيرًا وعاديًا تمامًا. ولم يكن لديّ ردّ مفيد.

أخذ الحقيبة. وعلى الدرجة العليا استدار ورفع يده. ورفعت يدي.

اختار مقعدًا بجانب النافذة ووضع الكرة على ركبتيه. وحين تحرّكت الحافلة، رفع كلتا يديه إلى الزجاج، مفتوحتين، كما كانت ليف تُظهر يديها قبل أن تقطع.

أعدت التمريرة.

بعد أن مضت الحافلة، بقيت حتى لم يعد زجاج المظلّة يحمل سوى انعكاسي.

لبعض الوقت، كلما قلبت ورقة مباراة، كنت أتوقّع صوتًا عند مرفقي.

في الأمسيات التي أمرّ فيها بملعب أضواؤه مشتعلة، أتوقّف. أبحث عن صبيّ ينتظر أن ينتهي نفاد صبر شخص آخر. أحيانًا لا يكون هناك سوى قيّم يُغلق. وأحيانًا أسمع كرة قبل أن أرى من يلعب بوقت طويل.

لا أعرف ماذا قالت نيا حين عاد إلى بيته. حاولت أن أتخيّل ذلك، لكن معرفة جانب واحد من الحكاية لم تساعدني.

ما زلت أحاول أن أرسم اللاعب الذي يتعلّم.

كل نسخة غير مكتملة. وفي كلّ منها أترك الباب مواربًا أكثر قليلًا.